Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يستطع أن يخفى ما فى نفسه من مشاعر ، فإذا هو يكاد يعلن هذه المشاعر إعلاناً ، ومع أنه ألبسها ثوب غزل ، إلا أن هذا الثوب كان شفافاً لم يستطع أن يخفى ما فى نفسية الشاعر وأحاسيسه نحو الممدوح ، ولا أظن أن الشاعر أراد من الغزل إخفاء مشاعر معينة نحو الممدوح ، فإن الإشارة إلى الممدوح فى المطلع أوضح من أن يخفيها شىء ، ولكنه مجرد التقليد ، أن يبدأ المدح عادة بالغزل ، ثم من خلال الغزل يعبر الشاعر عما يريد أن يعبر عنه من نفسيته ومشاعره ، كما عبر البحترى عن مشاعره نحو من لا يرحمه ، والذى يظلمه دون ذنب ، والذى لا تكافؤ بين سهم الشاعر وسهمه ، والذى يملك أن يهين وأن يكرم والذى تارة يرزق بعطاياه ، وتارة يحرم من يريد حرمانه من هذا العطاء ، فالقصد إلى الخليفة بهذه المعانى أوضح من أن يخفيه أسلوب الغزل ، مع أن مثل هذا المطلع يعد فى نظر النقاد غزلاً ، بعضهم يراه مجرد تقليد تعوده الشعراء كما يرى النقاد القدماء ، وبعضهم يراه خللاً فى وحدة القصيدة وتعدداً فى موضوعها ، من حيث اشتمالها على أكثر من غرض كالمدح والغزل كما يزعم بعض النقاد المحدثين ، وبعضهم يرى فى مثل هذا المطلع دلالة أخرى كما سبق ، ولكن ذلك كله أبعد ما يكون عن الواقع ، والواقع غير الخفى هو أن مثل هذا المطلع ليس إلا صدى لنفسية الشاعر ومشاعره نحو الممدوح .

ومن هذا القبيل مطلع البحترى فى مدح الفتح بن خاقان :

أكنت معنِّفى يومَ الرحيل
وقد لَجَّتْ دموعى فى الهمول ؟
عشية لا الفراقُ أَفَاء عَزْمى
إلىَّ ، ولا اللقاءُ شَفَى غليلى(٨٣)

فالتعنيف الذى بدأ به الشاعر غزله لم يكن قط من أساليب الغزل ، مع أن هذا المطلع من المطالع الطويلة فى الغزل ، حيث يبلغ ثلاثة عشر بيتاً معظمها من جيد الغزل ، ولكن التعنيف الذى استهل به الشاعر المطلع ، إنما يصدر أو يتوقع من مصدر قوة أو سلطة ، وليس من الأحبة ، لأنه فى حقيقة الأمر يخاطب صاحب القوة والسلطة ، وليس الأحبة .